



خطبة اليقين من الإيمان... والشك من الشيطان



يحيى سليمان العقيلي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 30/8/2024 ميلادي - 25/2/1446 هجري

الزيارات: 4494

خطبة اليقين من الإيمان... والشك من الشيطان

معاشر المؤمنين:

اليقين أعلى مراتب الإيمان، يهنأ أصحابُه ببَرَدِهِ، وينعمون بطمأنينته، ويسعدون بحياته الطيبة، ويأمُلون نعيمه الخالد في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15].

قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر ثم بكى، فقال: ((قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأول على المنبر، ثم بكى، فقال: سَلُوا الله العفو والعافية؛ فإن أحدًا لم يُعطَ بعد اليقين خيرًا من العافية))؛ [الراوي: أبو بكر الصديق، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي]، وأهل اليقين -عباد الله- هم أرفع الناس منزلةً بعد الأنبياء؛ لكمال يقينهم، فالموقنون هم المنتفعون بالنظر في الآيات والبراهين؛ قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: 20]، وخصَّ اللهُ أهلَ اليقين بالهداية والفلاح؛ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 4، 5].

وهم الذين يهنؤون بحكم الله وشرعه؛ قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50].

وأهلُ اليقين هم أهل الصبر؛ ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 156، 157]، كما هم أهل فلسطين، وأهل غزة اليوم في صبرهم طوال عشرة شهور على الحرب الصهيونية الظالمة والجبانة، نسأل الله أن يُعجِّل لهم الفرَج والنصر المبين.

وأهل اليقين -عباد الله- لا يترددون في بذل الْمُهَج في سبيل الله؛ قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 44].

وعلى عكس أولئك، أهل الرَّيب والشكِّ والتردد، لضعف إيمانهم وتذبذب تصديقهم، ومرض قلوبهم، ووساوس شياطينهم؛ قال عنهم جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: 45].

فهم في ريبٍ وشكٍّ، حتى في شأنِ الحياة بعد الموت والبعث، والنشور والحساب؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية: 32].

ومن فتح على نفسه باب الشك والريبة والتردد، فإنه لا يأمن على نفسه أن يتشكَّكَ حتى في خالقه جل وعلا؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه، فَلْيَسْتَعِذْ بالله ولْيَنْتَهِ))؛ [مسلم].

ولقد ضرب الله تعالى لنا مثلًا بمن آتاه الله علمًا، ولكنه وقع في حبائل الشك والتردد، فأغواه الشيطان؛ فقال عنه جل وعلا: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: 175].

وقد ذكرنا سابقًا قصةَ ذلك العالم من علماء الجزيرة العربية، الذي نبغ في عِلْمِهِ، حتى صار عَلَمًا من أعلام وعلماء العقيدة والتوحيد، وألَّف مؤلفاتٍ في ذلك، ثم سافر لإحدى الدول العربية، فافتتن في الانفتاح على الحياة الغربية وبهارجها، ومنتدياتها الثقافية، وتحررها الفكري، حتى وقع في حبائل الشك، ثم هوى بعده للإلحاد، والعياذ بالله، وألَّف كُتُبًا يروِّج فيها للإلحاد، بعد تلك الكتب العلمية التي تدعو للإيمان.

معاشر المؤمنين:

إن الشك والحيرة مرض مُمِيت، وداء عُضال، يجُرُّ على صاحبه آثارًا سيئة في حياته وبعد مماته؛ من العيش الضنك، والضيق والحرج، والقلق والاضطراب.

وأين هذا المتشكِّك من المؤمن المطمئن بهذا الدين العظيم، الذي يعيش في سعادة وطمأنينة، وراحة وسكينة؟ قال تعالى عن الصنفين: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: 125].

ولأجل هذا ـعباد اللهـ سعى أعداء الأمة لإثارة التشكيك بالدين وثوابته، وركائز العقيدة وأركانها، والطعن بعلمائه العاملين، ودعاته الصادقين، ومجاهديه المحتسبين، وأسَّسوا لذلك المخطط الماكر مؤسساتٍ خبيثة، عمِلت على تغيير المناهج التعليمية في بعض الدول العربية والخليجية، وأعانهم على ذلك حثالة من المنافقين، فقاموا بإزالة مصطلح الجهاد، وتهميش مكانة الأقصى، وترسيخ مفهوم السلام والتعايش مع الأديان الأخرى، واليهود خاصة، واستبدال مفاهيم التحرر والحريات الشخصية، بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشويه مفهوم الانتماء للأمة المسلمة، وإضعاف مبدأ الولاء والبراء للمؤمنين، وغيرها من المفاهيم الشرعية الأصيلة.

وقانا الله تعالى والمسلمين الشرورَ والمكائدَ، والفتن ما ظهر منها وما بطن، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

معاشر المؤمنين:

من الواجب على الأمة بقادتها وعلمائها، ومؤسساتها التعليمية والإعلامية، وكذلك الآباء والأمهات ـ مواجهةُ ذلك المخطط الخبيث:

بربط الأمة والأجيال الشابة بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ ففيهما العصمة من الزَّلَلِ والشَّكِّ والرَّيب؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: 101]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم))، كما ينبغي قيام المسؤولين بواجبهم بحماية المناهج التعليمية من المساس بها تحت دعاوى التطوير والتجديد، وتعزيز الانتماء لهذه الأُمَّة المُكرَّمة، وتربية الأجيال على السيرة النبوية، وسيرة سلف هذه الأمة وتاريخها المجيد، فهذا الذي يَقِيها من سموم ذلك المخطط الماكر.

وختامًا: فإن التحذير دومًا من مكائد الأعداء ومخططاتهم، ودسائس المنافقين وأعوانهم أمرٌ لازم وضروريٌّ للوقاية من شرها، والأمن من مكرها، فهذا مما شرعه الله تعالى لعباده: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: 55].

وقال تعالى محذرًا: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: 140].
